



مركز

علم وثقافة الإسلام في الهند

دار العلوم ديوبند



ساعة الأستاذ الدكتور أبو الحسن علي الندوي

فضيلة الشيخ محمد رفيع الدين الجامعي

فضيلة الشيخ عامر الانصاري تماري
الامين العام للاعتقال النوري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هـ

دار العلوم ديوبند

انقرضت دولة المسلمين في الهند و رسمت قدم الانجليز في
ارضها سنة ١٨٥٧ م فانبت القسوس و الاحبار في القرى و
المدن يدعون الناس إلى النصرانية و يناظرون علماء المسلمين بساطان
دولتهم ، و يغرسون في قلوب العامة الشك و الزيف ، و قام بعض
المسلمين الذين دخلهم الرعب ، يدعون إلى تعلم اللغة
الانكليزية و آدابها على علاتها ، و يرون في ذلك دواء لكل داء ،
و تدرجوا إلى دعوة تقليد الحضارة الغربية و محاكاة سادة البلاد
في كثير من أخلاقهم و أساليب حياتهم فكان المسلمون بين خطرين
خطراً لارتداد و خطراً لالحاد .

وكانت المدارس الدينية و حلقات التدريس التي تخرج منها
أئمة و علماء كبار في إحتضار تلفظ نفسها الاخير لعدم حماية
الدولة و قلة رغبة الناس في العلوم الدينية ، و كان كلما تعطلت
مدرسة لم تخلفها مدرسة و كلما مضى عالم أو أستاذ كبير لم يخلفه
آخر ، و المدارس الرسمية تزداد كل يوم عددا ، و تتمتع بحماية
الدولة و مساعدة الجهود .

هذا و قد نشط دعاة البدع و الخرافات ، و المحترفون
بالدين و انتشروا في القرى و المدن يدعون إلى رسوم الجاهلية
و المحدثات و ياكلون أموال الناس بالباطل ، و يصدون عن سبيل
الله ، و يضللون العلماء الأخيار و يكفرونهم .

خاف علماء الحق على الدين و على علوم الدين و خافوا على
مستقبل الاسلام في بلاد الهند بعد زوال دولته و حلول دولة
الكفار ، و رأوا أنهم لا تنجدهم دولة ، و لا تحميم قوة ، و
لا يملكون أموالا ينفقونها و لا مناصب و وظائف يجذبون الناس
إليها ، و إنما هم مستضعفون في الأرض فقراء ، ثروتهم العلم ، و
رأس مالهم الدين ، و زادهم التوكل ، و سلاحهم الاخلاص ،
فقاموا و قالوا نبي معقلا للدين تأوى إليه الشريعة الاسلامية ، و

تأجأ إليها العلوم الدينية .

في قرية ديوبند من القرى التابعة لمدينة سهارن بور في مسجد صغير
اجتمعت عصابة من أهل الغيرة و الفراسة من العلماء الربانيين
أكثرهم من تلاميذ بيت الامام ولي الله الدهلوى رح ، و اصحاب
الشيخ الكبير إمداد الله التهانوى المكي على رأسهم الشيخ الكبير
مولانا محمد قاسم النانوتوى (م ١٢٩٨ هـ) و أسسوا تحت شجرة
رمان هناك مدرسة دينية ، و كان ذلك سنة ١٢٨٣
للهجرة النبوية .

افتتحت المدرسة بمعلم واحد هو الملا محمود الديوبندى و
تلميذ واحد و هو الشيخ محمود حسن الديوبندى . فكانت يوما
مشهوداً محموداً في تاريخ الهند الدينى .

بدأت المدرسة باعانة فقراء المسلمين و عامتهم و رزقت من
أول يومها رجالا عاملين مخلصين و أساتذة خاشعين متقين ،
قد تولى الاشراف على شئونها أمثال العالم الربانى الشيخ الكبير
مولانا رشيد أحمد الغنغوى ، و الشيخ رفيع الدين الديوبندى ، و
المصلح الجليل و المؤلف الكبير الشيخ أشرف على التهانوى ، و
تولى رئاسة التدريس فيها أمثال الشيخ الصالح مولانا يعقوب

النانوتوى ، و العالم الربانى الشيخ محمود حسن الديوبندى ، و العالم الضليع الشيخ أنور شاه الكشميرى ، و المجاهد الشهير مولانا حسين أحمد المدنى ، فمرت روح التقوى و الاحتساب و التواضع و الخدمة فى هذه الدار ، فاذا زارها أحد فى دورها الأول حسب أنه فى زاوية عامرة من زوايا الصوفية .

و لم يزل نطاق المدرسة يتسع و صيتها يذيع ، و شهرة أسانذتها فى الصلاح و التقوى و التبحر فى علم الحديث و الفقه تطير فى العالم حتى أمها الطلبة من أنحاء الهند من الأقطار الاسلامية الأخرى حتى بلغ عددهم فى الزمن الأخير إلى خمس مائة و الف و زيادة ، و بلغت ميزانيتها إلى ثلاث مائة الف و خمسين الف ربية سنويا . (١)

و يقدر عدد الذين اشتغلوا فى هذه المدرسة بالعلم باكثر من عشرة آلاف (٢) و الذين نالوا الشهادة منها بنحو خمسة آلاف (٣) و الذين أرتووا بمناهلها من خارج الهند كجاغستان

(١) و قد بلغ الان عدد الطلبة إلى ثمان مائة و الف و زيادة و بلغت ميزانيتها أكثر من مليونين و نصف روية هندية (٢) عدد المستفيدين من الجامعة من ١٢ ٨٣ هـ إلى ١٣ ٨٢ هـ ٥٨٣١٠ (٣) عدد المتخرجين من هذه الجامعة ١١٠٤٦

و افغانستان ، و خيوا ، و بخارا ، و قازان ، و روسيا ، و ذآر بائيجان ، و المغرب الأقصى ، و آسيا الصغرى ، و تبت ، و الصين ، و جزائر بحر الهند ، و الحجاز و العراق و البلاد الشامية و اليمن نحو خمسمائة . (١)

و كان للمتخرجين من دار العلوم تأثير كبير فى حياة المسلمين الدينية فى الهند و فضل كبير فى محو البدع و إزالة المحسذات و اصلاح العقيدة و الدعوة إلى الدين و اتباع السنة و مناظرة أهل الضلال و الرد عليهم ، و كانت لبعضهم مواقف محمودة فى السياسة و الدفاع عن الوطن و كلمة حق عند سلطان جائر .

و لدار العلوم مكتبة كبيرة تحتوى على مائة الف كتاب كثير منها مكرر للدرس و فيها عدد من الكتب الخطية . (٢)
و شعار دار العلوم التمسك بالدين و التصلب فى المذهب و عدم العدول عنه و المحافظة على القديم و الدفاع عن السنة و الائتصار لرهط الامام ولى الله الدهلوى (٣)

(١) عدد المتخرجين من سكان الأقطار الأخرى ٣٦٣٢
(٢) يبلغ عدد الكتب فى المكتبة أكثر من مائة و عشرين ألفاً
(٣) نقلا عن (القراءة الراشدة) ص ٢٢٦ ١٣٦ الجزء الثالث .

مركز العلم و الثقافة الاسلامية في الهند

إن أكبر معهد ديني في الهند يستحق أن يسمى أزهر الهند هو معهد ديوبند الكبير، بدأ هذا المعهد ك مدرسة صغيرة لا تسترعى الاهتمام ثم لم تزل تتوسع و تتضخم بفضل جهود اساتذتها و القائمين عليها و اخلاصهم و زهدهم في حطام الدنيا حتى أصبحت جامعة دينية كبيرة بل كبرى المدارس الدينية في قارة آسيا :
و كان لإفتاحها في قرية ديوبند من القرى التابعة لمدينة سهارن بور في مسجد صغير سنة ثلاث و ثمانين و مائتين و الف هجرية ١٢٨٣ هـ ، أسسها العالم الجليل المخلص الشيخ محمد قاسم النانوتوى المتوفى سنة ثمان و تسعين و مائتين و الف هجرية ١٢٩٨ هـ ، و كان الاعتماد فيها على الله ثم على تبرعات المسلمين ، و رزقت من أول يومها رجالا عاملين مخلصين و أساتذة خاشعين متقين ، فمرت فيها روح التقوى و الاحتساب و التواضع و الخدمة ،

و لم يزل نطاق المدرسة يتسع و صيتها يذيع ، و شهرة أساتذتها في الإصلاح و التقوى و التبجر في علم الحديث و الفقه تطير في العالم ، حتى أمها الطلبة من أنحاء الهند ، و من الأقطار الاسلامية الأخرى حتى بلغ عددهم في الزمن الأخير (١) خمس مائة و الف (١٥٠٠) و زيادة .

و يقدر عدد الذين اشتغلوا في هذه المدرسة بالعلم باكثر من عشرة آلاف ، و الذين نالوا الشهادة منها بنحو خمسة آلاف ، و الذين ارتووا بمناهلها من أهل خارج الهند كباغستان ، و افغانستان ، و خيوا ، و بخارا ، و قازان ، و روسيا ، و آذربيجان ، و المغرب الأقصى ، و آسيا الصغرى ، و تبت ، و الصين ، و جزائر بحر الهند ، و الحجاز ، و الأقطار العربية نحو خمسمائة .

و كان للتخرجين في دار العلوم تأثير كبير في حياة المسلمين الدينية في الهند ، و فضل كبير في محو البدع و إزالة المحدثات و اصلاح العقيدة و الدعوة إلى الدين ، و مناظرة أهل الضلال و الرد عليهم ، و كانت لبعضهم مواقف محمودة في السياسة و الدفاع (١) ١٣٨٠ هـ .

عن الوطن ، وكلمة حق عند سلطان جائر .
و شعار دار العلوم ديوبند التمسك بالدين ، و التصلب في
المذهب الجنبي ، و المحافظة على القديم ، والدفاع عن السنة . (١)

ثورة الهند و رد فعلها

و في سنة ١٨٥٧ م ثار المسلمون ثورة عظيمة للتخلص من
الانجليز ، و امكن أخفقت هذه الثورة و إحتات الحكومة
الانجليزية محل شركة الهند الشرقية فكان الامر أشد ، و دخلت
الهند في حكم البريطانيا المباشر و كونت الامبراطورية الانجليزية
فتسرب اليأس إلى نفوس المسلمين و فقدوا الثقة بانفسهم و
مستقبلهم ، و ضعفت روح المقاومة ، و هاجر كثير من العلماء
و رجال الدين إلى الحجاز و أصبحوا يعتقدون أن الحكم الاجنبي في
الهند ضربة لازب ، و انبث دعاة المسيحية و القسوس في القرى و
المدن يدعون إلى المسيحية علنا و يشنعون على العقيدة الاسلامية
و الشريعة المحمدية ، و يعلنون أن دولة الاسلام قد زالت و أن
عهده قد انقضى و دخلت الهند في الحكم المسيحي ، فذتبا المسلمون
لاستقبال هذا الحكم و لقبولوا على دين الحكومة و طبقت

(١) نقلا عن (المسلمون في الهند) ص ٦٤ - ٦٦

طبع في دمشق عام ١٣٨١ هـ

الحكومة نظام التعليم المدني و هو يهدف إلى تخرج طراز من الناشئة لا يصلح إلا لإدارة جهاز الحكومة الإنجليزية، و تنفيذ برامجها، و كثيراً ما كان أفراد الجيل الجديد ينسجون عن الإسلام إنسلاخاً كلياً، و يثرون على الحضارة الإسلامية، و الديانة الإسلامية بتأثير التعليم و التريبة في مدارس الحكومة التي كانت يديرها الإنجليز أو أشباه الإنجليز، و بسبب «مركب النقص» الذي أصيب به المسلمون في عصر الاحتلال، و دهشة الفتح التي أصابتهم. فاصح المسلمون في عقر دارهم يغزون سياسياً و ثقافياً و دينياً، و انقطع الأمل في كل ثورة و انقلاب عسكري.

معهد ديوبند و خدمته للدين

و لم ير العلماء أمامهم طريقاً الا فتح المدارس العربية و المعاهد الدينية، فانشأوا هذه المعامل ليحفظوا بقايا الحياة الإسلامية و ليكافحوا تيار الغرب المدني و الثقافي، و يخرجوا

منها دعاة الإسلام و الوعاظ، و المرشدين و علماء الدين فيحفظوا على المسلمين دينهم، و يعيدوا الثقة إلى نفوسهم. فأسس مولانا محمد قاسم النانوتوى (م ١٢٩٧ هـ) مدرسة ديوبند، سنة ١٢٨٣ هـ و أسس مولانا سعادت على مدرسة مظاهر العلوم في سهادن بور في نفس ذلك العام، ثم تواترت المدارس الدينية في أنحاء الهند و قد كانت لهذه المدارس فضل كبير في نشر الدين و الدعوة الإسلامية و في نشر الثقافة في طبقات الشعب، و محاربة البدع و الخرافات، و بث الروح الدينية في الجماهير، و قد نجحت هذه المدارس في رسالتها الدينية نجاحاً باهراً.

و كان لاحد أبناء دار العلوم ديوبند و هو الشيخ أشرف على التهانوى (م ١٣٦٢ هـ) سهم كبير في نشر العقيدة الصحيحة و اصلاح النفوس و تهذيب الأخلاق و الدعوة إلى الله، و قد عمل وحده عمل مجمع دامى كبير، و ألف كتباً و رسائل تربى على ثمانية و قد انتشرت إشاراتاً كبيراً و أثرت في المجتمع الهندي الإسلامي تأثيراً عظيماً.

سر نجاح هذه المدارس

و سر نجاح هذه المدارس — كديوبند و شقيقاتها — في أداء رسالتها ، و نشر الدين و العلم أنها لم تكن تنال مساعدة من الحكومة ، و كانت قائمة على أساس الزهد و التضحية و الجهاد ، فانار ذلك فيها روح المقاومة و الجهاد ، و قوة العمل و النشاط ، ثم إن ابناءها المتخرجين لم يكن لهم أمل — بطبيعة الحال — في وظائف الحكومة و الرواتب الضخمة لأنهم تخرجوا من مدارس حرة لا صلة لها بالحكومة فالجأ ذلك أكثر المتخرجين إلى الانقطاع إلى الشعب دون الحكومة ، و التجرد للدعوة و الخدمة دون المناصب و الرواتب و هكذا وجد دعاة متجردون محتسبون متطوعون يقتنعون بالكفاف ، و ينقطعون إلى الدعوة و الرسالة ، فقاموا باعمال اصلاحيه لا تقوم بها أكبر دولة . (١)

(١) نقلا عن (الدعوة الاسلامية في الهند و تطوراتها)

ص ٢٨ - ٣٢ ، مطبعة ندوة العلماء لكهنؤ ١٣٧٨ هـ